مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاهـــرام

التاريخ : ١٩٧٩/٥/١٥

ثـــورة التصـــحيح

عـــــودة الأمـــــان للعـــــلم والـــفكر

في تصوري أن ثورة التصحيح هي ثورة الحـرية . الى ما قبل ١٥ مايو ١٩٧١ كنـا نعيش في ظلال الخوف . والفـترة من يونيو ١٩٦٧ الى مايو ١٩٧١ كانت فترة رهيبة .

كانت الهزيمة بكل آثارها المخربة .

وانتهزت فرصة الهزيمة تلك الجماعات التي سميناها بمراكز القوى ونشرت في البلاد ارهابا لم يسبق له مثيل ،

تسترو وراء صالح البلد والظروف التي كنا نعيش فيها اذ ذاك وبسطوا سلطانهم على كل شيء ، من ورائهم كانت روسيا تمهد لهم الطريق لوضع يدها على البلد وما فيه .

ودائما باسم حرية الشعوب يبيحون لانفسهم كل محظور : تتسع المعتقلات وتكاثر ويلقى فيها بالالاف ، وتراقب تليفونات الناس وتفتح خطاباتهم وتزور عليهم خطابات ومكالمات ، شيئا فشيئا يسود الخوف والرعب وبدلا من الحرية المرجوة يجد الناس أنفسهم في قبضة حفنة من الناس يحكمون بالارهـاب . يسمونها أحيانا الحزب الشيوعي أو الاشتراكي أو اى شيء وعلى قمـة الهرم — ودائما وراء ستار — تتحكم الاقلية العميلة في أهل بلادها .

هكذا كان الحال عندنا قـبل ثورة التصحيح .

كنا كلنا في خوف . أكثر النـاس خوفا كانوا أهل الفكر والعلم ، لان زبانية الارهاب لايخـــافون الدهماء والبسطاء والفقـراء والصغار ، انهم يستعملونهم لارهاب الاخرين . الذين يقع عليهم الظلم كله هم أهل الفكر ، هم أهل الوطنية ، هم الاحرار الذين يعرفون حقائق الامـور ويريدون أن يتكلموا ، لهذا تقسو النظم الاستبدادية الارهابية عليهم وتضطهدهم وترمى بهم في المعتقلات ، حتى اذا ساد الظلام تماما تحركت قوى الاستبداد والـظلم فوضعت يدها على كل شيء .

في هذا الـطريق كنا نسـير حتى انقذنا الله بثورة التصحيح .

في تلك الايام كان الواحد منا اذا أمسك بالقلم فكر الف مرة قبل أن يخط حرفا لا يدرى أحد كيف سيأولون ما يكتب ، حتى الكتب العلمية الخالصة أصبح نشرها مخاطرة : كان عنـدى في ذلك الحين كتاب يسمى عـــالم الاسلام « ألفته لطلاب التـاريخ في الجامعات ، وسلمته لاحدى دور النشر في القاهرة » غاب الكتاب وتأخـــر وفي ذات يوم استدعوني ليسألوني عن بعض ما كتبت .

أدهشني ما يخطـر على بالهم من معاني الكلمات: ماذا تريد بتلك العبارة يادكتور ؟ وهذه اللفظة ؟ وهذا المثال الذى ضربته هنا من تعنى به« ألا تلاحظ

معى أن هناك اسقاطا واضحا ؟ ومضيت أوضح وأشرح ، ثم وجدت نفسى فى النهاية أدافع عن نفسى لاننى تبينت أن أصبع الشاب الذى كان يناقشنى تشير الى باب السجن ،وبعد أن فرغنا من ذلك « التحقيق » ناولنى الكتاب وأخذ على اقرارا بعدم نشره قال أنه يعمل معى خدمة انسانية بذلك لان أخطاه كان تلميذى وزكانى عنده ، لولا ذلك لساءت المعاقبة . وأعرف كثيرين من أمثالى ساءت العاقبة معهم لاشياء كتبوها فى موضوعات علمية وفنية خالصة مثل المياه الجوفية أو الامكانيات البترولية أو بعض النواحى الفنية فى أجهزة السد العالى .

لا أعاد الله تلك الايام أبدا ..

ليس فى الحياة أشقى من أن يعيش أهل الفكر والعلم دون حرية ، دون أمان ليس هناك أقسى على المرء من أن يعيش بدون قانون . يستطيعون أن يفعلوا بك ما يشاءون فى أى وقت يريدون . هذا هو الموت بعينه . وبالفعل كنا أموتا خلال هذه الفترة .

جانب كبير من الشلل الفكرى الذى نعانى منه الان نتيجة لتلك الفترة العصيبة التى وضعت لها ثورة التصحيح حدا ..

لا يعرف قدر ثورة التصحيح الا رجل فى يده قلم ، كانت الاقلام فى أيدينا ميته . كان الكثيرون يكتبون مقالات طويلة لا يقولون فيها شيئا . كان المطلوب ألا نقول شيئا .

بعد ثورة التصحيح تحركت العقول فى أدمغتنا وجرت اليد بالقلم على الورق . كان ذلك بعثا جديدا . فى اليوم الذى سقطت فيه مراكز القوى وألغيت المعتقلات ورفعت الرقابات ولدت ثورة يوليو ١٩٥٢ من جديد . دبت الحياة أو عادت الروح .

هذا فى تصورى هو المعنى الحقيقى لثورة التصحيح بالنسبة لنا أهل الفكر والعلم .

د. حسين مؤنس